obeikandl.com

obeikandl.com

§ الفصل الأول

الأوضاع العامة في فلسطين
قبل حرب الأيام الستة وبعدها

في الفصول السابقة من الباب الرابع في هذا الكتاب استعرضنا أوضاعًا عديدة مثل انطلاق الحركة الصهيونية العالمية بزعامة كل من ثيودور هرتسل وحاييم وايزمان، وعد بلفور بإقامة وطن قومي لليهود على أرض فلسطين، والانتداب البريطاني بعد انتصار بريطانيا وفرنسا على تركيا في الحرب العالمية الأولى، كما استعرضنا الهجرة اليهودية غير المشروعة إلى فلسطين وتشكيل هيئة الاستخبارات الإسرائيلية، ثم قرار تقسيم فلسطين الصادر عن الأمم المتحدة في نهاية عام ١٩٤٧، والحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٤٨ ودخول الجيوش العربية إلى فلسطين والهزيمة العربية الأولى، ثم حرب عام ١٩٦٧ وتغيير معالم الشرق الأوسط.. الخ.

في ذلك الاستعراض وضعنا نصب أعيننا أن لا نشير بالاتهام أو التقصير أو التخاذل لأحد من زعماء الأمة العربية في تلك الأوقات، لعدة أسباب أهمها أن القادة العرب الذين فشلوا في حروبهم مع الكيان الصهيوني قد انتقلوا إلى عالمهم الآخر ولم يعودوا بيننا

الآن، وقد فرضت علينا ثقافتنا الاجتماعية والدينية أن لا نذكر سوى محاسن موتانا وأن لا ننبش القبور لتعليق الفشل على شماعات غير الأحياء، فالأمة العربية كاملة شاركت في الهزائم بصمتها أحيانًا وأحيانًا أخرى بعبادة الصنمية، الأمر الذي يعيد إلى الأذهان قول شاعرنا الكبير المرحوم نزار قباني في هزيمة أمتنا عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧:

لا غرابة أننا خسرنا الحرب مرتين
لأن شعبنا بدون لسان!
ما قيمة الشعب بلا لسان؟

واستعرضنا أيضًا الأوضاع الداخلية الإسرائيلية، والركود الاقتصادي الحاد الذي اجتاح الكيان الصهيوني مع بدايات عام ١٩٦٤، وعن مخاوف الإسرائيليين من اقتراب كيانهم المصطنع من حافة الانهيار بسبب البطالة التي وصلت ذروتها في تلك الفترة..

في هذا الباب سوف نستعرض في فصوله التالية الأوضاع العامة في فلسطين قبل حرب الأيام الستة وبعدها أيضًا، والآثار السلبية التي تلتها، خصوصًا فيما يتعلق بتغيير وجه منطقة الشرق الأوسط، هدفنا في ذلك إعطاء صورة حقيقية للصراع العربي الإسرائيلي المزمن، في محاولة لتنوير بصيرة الأجيال العربية المقبلة بحقيقة الأحداث التي اجتاحت منطقة الشرق الأوسط، ومعاناة الشعوب العربية نتيجة الهزائم العسكرية والنفسية، لترى ذلك الواقع على حقيقته،

ولتعمل على تدارك الأخطاء التي وقعت فيها أنظمتنا العربية في محاولاتها استرجاع الأراضي التي استولت عليها إسرائيل، سواء عن طريق القرارات الدولية غير المنصفة أو استعمال القوة العسكرية في اغتصابها.

ونظرًا للأبحاث الواسعة التي قمنا بها فإننا لم نوفق في الوصول إلى الايجابيات والتحضيرات أو الاستعدادات لدى الجانب العربي خصوصًا فيما يسمى دول الطوق العربية بمعنى الدول العربية المحيطة بالكيان الصهيوني، إذ يبدو أنه لم يكن هناك أي نوع من الاستعداد الجاد للمواجهة مع إسرائيل عسكريًا تحت ذريعة الدعم الأمريكي والأوروبي لإسرائيل وتفوقها العسكري، ولكن الحقيقة تؤكد أن تلك الأنظمة العربية كانت منغمسة في أمور أخرى لا علاقة لها بالصراع القائم مع الكيان الصهيوني، وأكثر من ذلك كانت بعض دول الطوق تقيم علاقات صداقة وحسن جوار مع الكيان الصهيوني سرًا بذريعة الحفاظ على أمنها وحماية أراضيها من الاحتلال كما حدث في فلسطين.

لهذه الأسباب نجد أنفسنا ملزمين باستعراض الأحداث والاستعدادات للتوسع الإسرائيلي في الأراضي العربية، والتحضير لشن الحروب من أجل تحقيق تلك الأهداف، وكانت آنذاك ولا زالت تفتعل الأحداث أو تستغل بعض الظروف لتبرير العدوان على الأمة العربية.

قد يتساءل البعض لماذا نركز على حرب الأيام الستة كما أطلقوا عليها، والجواب على هذا يتخلص في أن ما حل بالأمة العربية

نتيجة تلك الحرب كانت أكبر هزيمة عسكرية إلى جانب الهزائم النفسية التي تعددت أشكالها ولازلنا نعاني منها حتى هذا اليوم، ولأن العالم لم يجد تفسيرًا لتلك الهزيمة الكبرى إذ لم يصدق في حينه على الأقل أن الجيوش العربية المسلحة والمدربة لم تستطع الصمود في وجه إسرائيل أكثر من ستة أيام إن جاز التعبير، علمًا بأن إسرائيل لم تكن تلك الدولة العملاقة التي في استطاعتها قهر الجيوش العربية بالشكل المهين كالذي حصل.

نذكر هذه الأحداث وقلوبنا تعتصر ألمًا وحسرة، ولكن ليس أمامنا خيار آخر سوى شرحها ولو بشكل موجز، لعل ذلك يكون فيه العبرة للأجيال القادمة التي بدأت تتساءل لماذا عجز العرب عن محاربة إسرائيل؟ ولماذا اندحرت الجيوش العربية أمام جيش الدفاع الإسرائيلي، خصوصًا بعد أن تمت هزيمة ذلك الجيش الأسطورة أمام المقاتلين من حزب الله في لبنان، وكيف أن حزب الله دمر دباباتهم الحديثة وعلى رأسها دبابة "ميركافا" التي لم تكن موجودة لدى إسرائيل في حرب الأيام الستة، والتي تعتبر فخر الصناعات العسكرية الإسرائيلية، وهي الدبابة الأقوى في العالم، إضافة إلى مقاتلين محاصرين في قطاع غزة جعلوا تلك الدبابات الضخمة مثار جدل واسع في أوساط السياسة الإسرائيلية، وعلى المستويات العسكرية في العالم.

عشية الخامس والعشرين من شهر تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٦٦ انفجر لغم أرضي في قطار بضائع على الطريق بين مدينتي القدس وتل أبيب، أدى إلى خروج رأس القطار وقاطرتين عن الخط الحديدي، علمًا بأن قطار ركاب كان قد مرّ من نفس المكان قبل ساعتين فقط ولم ينفجر به اللغم الأرضي، بمعنى أن الانفجار كان مقصودًا ليحدث في قطار بضائع وليس بقطار ركاب على الأرجح، وعلى الفور نشرت الصحف العبرية بيانًا أصدرته وحدة قيادة تحمل اسم "عبد القادر الحسيني" وحمل البيان العبارة التالية (اخرجوا.. اخرجوا من أرضنا أيها الصهاينة)، وفي اليوم التالي التقطت جريدة يديعوت أحرنوت الإسرائيلية خبرًا أذاعته محطة إذاعة منظمة التحرير الفلسطينية من غزة يقول (غدًا سنصل إلى نتانيا وإلى مكتب ليفي اشكول)، وقد نشرت صحيفة يديعوت احرنوت وقتها هذا الكلام على صفحاتها الأولى بعناوين بارزة، ماذا كان ينبغي على إسرائيل أن تفعل إزاء هذا العمل الذي تسميه (إرهابًا) الذي كما تقول الجريدة قد وصل مرحلة مركزية في مناقشات الحكومة الإسرائيلية، أدى إلى بروز ضغط شعبي في إسرائيل على الحكومة، مطالبًا باتخاذ إجراءات صارمة لمنع حركة فتح من الاستمرار بإرهاب المستوطنين الإسرائيليين، وبعد بضعة أيام حذرت الصحف الإسرائيلية بأن نجاح من تسميهم الإرهابيين الفلسطينيين ينبغي أن لا يمر دون عقاب، واتهموا سوريا بتشجيعهم على أعمال العنف داخل الكيان الصهيوني، كما ساد انطباع عام في إسرائيل بأن الحكومة إن لم تستجب للضغط

الشعبي فإن ذلك يؤكد النتائج الخاطئة بأن إسرائيل قد بدأت في الضعف، كما اتهمت إسرائيل أيضًا الرئيس جمال عبد الناصر بمساعدة النشطاء الفلسطينيين على غرار ما يفعله الزعماء الثوريون.

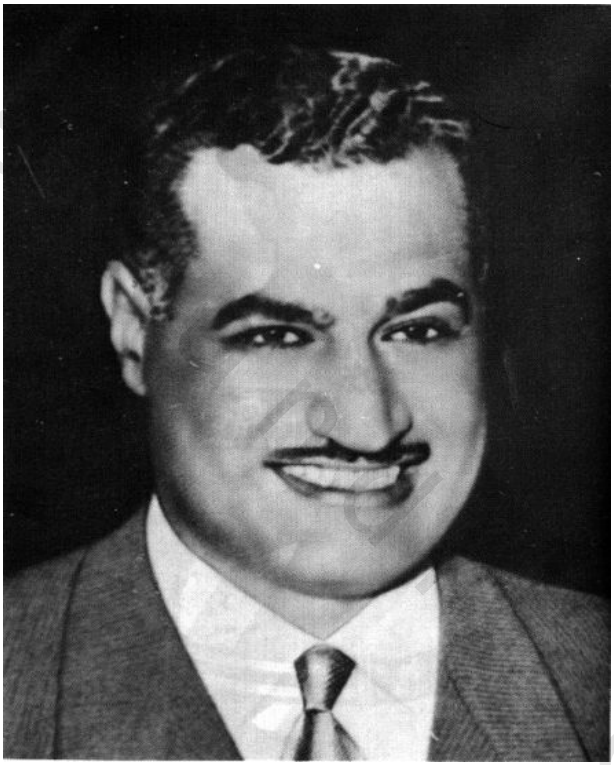

- الرئيس جمال عبد الناصر -

مساء الجمعة الحادي عشر من نوفمبر/ تشرين الثاني من نفس العام قتل ثلاثة جنود إسرائيليين كانوا يؤدون الخدمة العسكرية

الإلزامية حيث تعرضت سيارتهم إلى لغم أرضي بالقرب من مستوطنة "عراد" في الجنوب وهم عائدون من منطقة الخليل، وقد دل تتبع أثار أقدام الفاعلين إلى الحدود الأردنية وتم التعرف على المكان الذي جاءوا منه، اليوم التالي كان يوم سبت وهو يوم عطلة عند اليهود وكان على إسرائيل أن تقرر كيف يكون الرد، وكان القرار أن يقوم جيش الدفاع الإسرائيلي باقتحام بلدتي حسام والسموع في منطقة الخليل لقتل الإرهابيين، وتدمير بعض المباني في البلدتين، ومن بينها مسجدي القريتين.

عمومًا لم تكن هناك أمام إسرائيل طريقة أخرى لاتهام سوريا وتحميلها مسؤولية قتل الجنود الثلاثة، فقررت أن يكون الرد في الجانب الأردني، وكان العسكريون يطلبون موافقة الحكومة على العمل ضد القريتين الأردنيتين لعدة أشهر، فقد أرادوا أن يعملوا في وضح النهار وبقوة كبيرة، لإجبار سكان القريتين على طرد الفدائيين من التسلل إلى إسرائيل عبر قراهم، غير أن الحكومة الإسرائيلية رفضت أن يكون الرد على نطاق واسع، ولكن فقط يكون عملاً محدودًا والذي اعتبره العسكريون الإسرائيليون بدون جدوى.

دخل الجيش الإسرائيلي إلى قرية السموع التي تقع على بُعد خمسة عشر كيلومترًا إلى الجنوب من مدينة الخليل، وقام بتدمير ما زاد عن ستين منزلاً في القرية، وفورًا ذهب رئيس أركان جيش الدفاع

الإسرائيلي إسحق رابين إلى منزل رئيس الوزراء ليفي اشكول في القدس، وكان اشكول يفضل أن تكون الإجراءات العسكرية ضد سوريا ولكنه وافق مرغمًا على العمل ضد الأردن برغم المغامرة في نزاع غير مرغوب فيه مع الجيش الأردني.

وزير خارجية إسرائيل آنذاك "ابا إيبان" كتب فيما بعد أن مقتل الجنود الثلاثة كان سببًا في التصعيد، وكان هناك انطباع متزايد في إسرائيل أن البلاد أصبحت "موسمًا مفتوحًا" للقتل والهجمات، وبما أن جيراننا في وضع آمن؛ فإني أشعر بأن الحكومة عاجزة عن تأمين خدمة القطارات الاعتيادية، وأن الحياة الطبيعية في العاصمة الوطنية لإسرائيل أصبحت في حالة سيئة وخطيرة للغاية بكل مستوياتها، وكان ابا إيبان يُشير إلى قدرات إسرائيل لمنع الهجمات ولكنه ربما كان قد أضاف بأن رئيس الوزراء الذي كان يتعرض للسخرية لعدم اتخاذه قرارات مناسبة وحتى أن داعميه المقربون وجدوا أنه في حالة خطيرة جدًا.

لم يتمكن اشكول من تجاهل مطلب العسكريين بالانتقام لمقتل الجنود الثلاثة: "إن صبر إسرائيل لن يستمر طويلاً" كما قال في اجتماع مجلس الوزراء، وكان سكرتير الحربية الإسرائيلي قد وثق الجدل بين الوزراء، ثلاثة منهم وهم وزير الصحة "إسرائيل بازيلي" من حزب مابام ووزير الداخلية "موشيه شابيرا" من حزب المفدال ووزير

السياسة "موشيه كول" من حزب الأحرار الليبراليين، أرادوا التأكد بأن تكون العملية محدودة المجال أكثر مما اقترحه إسحق رابين وآخرون مثل "يغال ألون" الذي دعم اقتراح رابين، وقد أوضحت افتتاحية الصحيفة ليوم الأحد عدم موافقته، وقد جاء في الافتتاحية قوله: "إننا يمكن أن نعتاد على فكرة اختراق هؤلاء المتسللين المدربين تمامًا في ميدان العمليات وفنون التخريب"، وكتبت جريدة هآرتس: "إننا سوف نواصل استدعاء خطوات الدفاع الوقائية"، وكتبت صحيفة معاريف عكس ذلك فذكرت بأن أقرباء أحد الجنود الثلاثة طلب من الحكومة الانتقام لموت قريبه الملك حسين ملك الأردن فيما يبدو أنه يفترض بأن إسرائيل لن تدع موت الجنود الثلاثة تمر دون رد، فسارع للتعبير عن أسفه في رسالة إلى حكومة الولايات المتحدة الأمريكية، السجلات المحفوظة لدى مدير عام مكتب رئيس الوزراء تبين أن محتويات رسالة الملك كانت قد أرسلت إلى السفارة الإسرائيلية في واشنطن مساء يوم السبت، وأرسلت إلى القدس في ذات الليلة ومشفرة، اشكول كان قد أعلم بالرسالة يوم الأحد الثالث عشر من شهر نوفمبر/ تشرين الثاني، الساعة التاسعة صباحًا، وهو الوقت الذي كانت فيه عملية السموع تقترب من نهايتها، وأعلن الأردن في وقت لاحق أن مائة منزل دمرت في القرية على أيادي القوات الإسرائيلية، واعترفت إسرائيل بتدمير أربعين منزلاً على الرغم من تقرير داخلي أعطى رقم ستين منزلاً.

الملحق العسكري في السفارة الأمريكية في عمان الذي قام بزيارة للسموع قدَّر المنازل المدمرة بأنها أعلى بكثير من الأرقام الإسرائيلية، المبعوث الإسرائيلي لواشنطن "افرايم ايفرون" ذكر أن الملحق قد شاهد جثث الكثير من المدنيين والذي يتضح من مشاهداته أن المنازل لم يجر إخلاؤها من ساكنيها قبل تفجيرها، بعض الجثث كانت لمسنين ونساء من الذين لم يتمكنوا من الفرار في الوقت المناسب كما ذكر "أفرايم ايفرون".

العملية تمت وراء توقعات مجلس الوزراء الإسرائيلي والتي توجت بمعركة جوية مع القوات الأردنية، قائد كتيبة في قوات المظليين قُتل، وعشرة جنود من جيش الدفاع الإسرائيلي قتلوا أيضًا وجرح حوالي ٣٧ جنديًا إسرائيليًا، الجرحى كان من بينهم طيار، بعد العودة من السموع سار المشاركون في العملية في استعراض احتفالي في شوارع بئر السبع.

في اليوم التالي للعملية جرى استفتاء سريع قامت به جريدة هآرتس الإسرائيلية، قال ثلاثة من أربعة من المستوطنين إنهم يؤيدون العملية وكتبت جريدة يديعوت احرنوت إننا نعرف بأننا كنا نتعامل مع عالم غير معقول ومفقود الأمل به، مع مخربين وقتلة الذين لا يردعهم أحد، فهم لا يستطيعون التوقف، حتى الحيوان عندما يقوده تعطشه للدم فإنه لا يرتوي بل يزيد تعطشًا، وطبقًا لجريدة معاريف الإسرائيلية

"كان اقتحام الجنود الإسرائيليين للحدود مصحوبًا بالفرح حيث لم يكن لديهم خيار آخر"، الجريدة ذكرت بالأوضاع التي كانت قائمة إبّان حرب الاستقلال حينما واجه الإسرائيليون عدوًّا قويًا وقد عرف الإسرائيليون أنه ليس لديهم أي خيار سوى الانتصار، ولم يكن لإسرائيل أية مصلحة بالدخول في نزاع مع الأردن، وقد كتبت صحيفة هآرتس آنذاك بأن عملية السموع قد كشفت عن ضعف إسرائيل، من الصعب تجنب الانطباع بأن الأردن قد استُهدف نظرًا لأن الدفاع السوري قد منع مهاجمة الهدف الصحيح.

خلف الأبواب المغلقة انطلقت أصوات خطيرة في انتقاداتها للعملية، ستة وزراء بما فيهم وزراء الأحزاب الدينية عبَّروا عن غضبتهم من نتائج العملية العسكرية في قرية السموع، حاول اشكول تهدئة الوزراء بالإشارة إلى أن إسرائيل تنفق ١,٥ بليون ليرة إسرائيلية كل سنة لبناء قواتها المختلفة، وبرغم هذا هل هناك ضمانات بأن يظل الشياطين خارج البيت؟ هنا إسرائيل تخبر العالم أن لديها قوات مختلفة، ولكن عندما تسفك دماؤنا فإن علينا أن نردد الصوت.. نعم، أضاف إشكول وقال الصوت مرة، مرتان وحتى ثلاث مرات ولكن ينبغي أن يكون هناك ما يجب عمله، برغم أنه كان يعتقد أن جيش الدفاع الإسرائيلي قد تجاوز حدوده ولم يدافع عن الجيش، مخبرًا وزراءه: "من الخطأ أن نفهم بأن العملية كانت خاطئة"، وعبَّر عن دعمه وتأييده لرئيس الأركان وتحدث كيف كان مأخوذًا عندما قام

بزيارة الجنود الجرحى في العملية ليطلع على روحهم المعنوية الثابتة، رابين بنفسه واهارون باريف رئيس شعبة الاستخبارات، اعترفا بأن تقديراتهما خاطئة بأن الجيش الأردني سوف لا يتخذ موقفًا، وأصبح رابين يخشى أن يلجأ الأردنيون إلى محاولة وقف القطارات إلى القدس وذبح ركابها، غير أنه لم يوافق على التوصية بعمل عسكري ضد الأردن كان خاطئًا.

أبا إيبان وزير خارجية الكيان الصهيوني طلب وتسلم تصريحًا من الحكومة ليوضع بلطف أن مجال العملية كان قد توسع على غير المتوقع، وأن النوايا ليست دائمًا تقرر النتائج، وبعبارة أخرى قال إنهم فشلوا.. وفي محادثة مع سكرتير عام الأمم المتحدة "يوتانت" قال أبا إيبان إن العملية خرجت عن السيطرة، والحاجة للصراحة من أجل رد انزعاج الولايات المتحدة، حيث أنه عندما سمع الرئيس الأمريكي "جونسون" ما حدث كان مضطربًا بعنف، وذكرت التقارير أنه كان مشمئزًا وغاضبًا، الأمريكيون أيضًا كانوا يعارضون رد إسرائيل على الأردن، والأسباب ان الجيش الأردني لن يكون قادرًا أن يدافع عن البلد بشكل مناسب، وسوف يسبب ذلك إهانة للملك حسين، وحسب تقرير استخباراتي من شهر أيار، يحلل العوامل التي أدت إلى إشعال الحرب بين إسرائيل وجيرانها واضعًا حوادث الحدود والهجمات الإرهابية على رأس القائمة، وقام الأمريكيون بتمرير رسائل بين القدس وعمان في محاولة لتفكيك حركة فتح،

واحد من معاوني الرئيس الأمريكي وهو "روبرت كومر" كان قد أرسل ليخبر السفير "هيرمان" لدى إسرائيل، أنه إذا واصلت إسرائيل ضربها للأردن فسوف تكون الولايات المتحدة مجبرة على إعادة النظر في تزويد إسرائيل بالأسلحة.

لم تكن إسرائيل في كل يوم مهددة بهذه الطريقة وقد حاول السفير "هارمان" توضيح الأمر بأن رئيس الوزراء الإسرائيلي "ليفي اشكول" قد تصرف تحت ضغط شديد من وازع الضمير غير أن هذا لم يقنع الرئيس الأمريكي الذي أرسل "كومر ليرى" أبي فانبرغ، كومر سمع أن فاينبرغ كان قد تحدث بقوة مع المدير العام لمكتب رئيس الوزراء "هيرتسوغ" الذي أخبره أنهم كانوا يريدون تفجير أربعة منازل فقط في القرية، أجابه كومر أنه كان عليه أن يفكر بإمكانية التصعيد قبل أن يتصرفوا وليس بعده، سؤل فاينبرغ إذا كان بامكانه إرسال رسالة كرومر إلى السفير هارمان غير أن كرومر أخبره بأنه سوف يخبر السفير بنفسه وسأله أن يعطي الرسالة إلى إشكول، وكما هي العادة قبل فانبرغ المهمة بالنيابة عن رئيسه وأوضح لاشكول أن الرئيس جونسون كان يخشى أن يكون هناك ضباط في الجيش الأردني ربما يقومون بعمل ضد إسرائيل خلافًا لرغبات الملك حسين وأن الرد الإسرائيلي يمكن أن ينجم عنه ثورة ضد الملك.

مسؤول كبير في وزارة الخارجية الأمريكية "تيقولا كاتسنباخ" أوضح لأبا إيبان وزير خارجية إسرائيل سوء الوضع وكان على وشك أن يصفع وجه السفير الإسرائيلي، ولكن باعتباره لا يقوى على ذلك فقد صفع سكرتير السفير، استعرض السفير الأمريكي "هارمان" عملية السموع ووصفها بالجنون وأعلن أنه لا يوجد دبلوماسي إسرائيلي في الولايات المتحدة يفكر بغير هذا، وأبدى أسفه أن إسرائيل لم تقم بعمل ضد سوريا بعد وفاة أربعة من شرطة حراسة الحدود قبل شهر من ذلك الوقت، جيش الدفاع الإسرائيلي طالب بعمل عسكري ضد سوريا ولكن كان وضع الحكومة حرجًا بسبب الضغط الأمريكي، فبدلاً من مهاجمة إسرائيل ذهبت أمريكا إلى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، ولكن الاتحاد السوفيتي حال دون تمكن مجلس الأمن من اتخاذ قرار بشأن سوريا، في هذا قال السفير الأمريكي هارمان فيما بعد بأن ذلك كان الذنب الأساسي فلو كانت الحكومة الإسرائيلية قد وافقت على عمل ضد سوريا في شهر تشرين الأول/ أكتوبر لربما خضعت للمطالب العسكرية بالعمل ضد الأردن، على أثر عملية السموع قامت مظاهرات صاخبة ضد الملك حسين في الأردن ووقتها أعربت الصحافة الإسرائيلية عن اهتمامها، حيث ذكرت صحيفة هآرتس أن ١٧ % من الإسرائيليين كانوا ضد عملية السموع.

هيرتسوغ الرئيس الإسرائيلي أيضًا كان قلقًا وتأكد أن الملك حسين بعث معربًا عن أسفه من خلال طبيب في لندن كان يعمل ضابط

ارتباط سري بين ملك الأردن وبين رئيس دولة إسرائيل هيرتسوغ الذي كان يأمل أن الملك سوف يرى الرسالة كنوع من الاعتذار الإسرائيلي.

منظمة فتح كانت على علم بأن تفجير لغم أرضي في قطار بضائع وخروج رأسه مع قاطرتين خاليتين من البضائع عن القضبان الحديدية، وكذلك انفجار لغم في سيارة عسكرية إسرائيلية، وقتل بعض الجنود المكلفين بالخدمة العسكرية الإلزامية، لا يحرر فلسطين من الصهاينة بل على عكس ذلك يعطي إسرائيل فرصة للتباكي أمام العالم واستدرار العطف على اليهود من الإجرام والإرهاب الفلسطيني ثم يعطي فرصة لتوجيه ضربات مؤلمة للفلسطينيين والعرب عمومًا وربما يؤدي إلى التوسع على حساب الأمة العربية، وهناك من يتساءل فيما اذا كان مخططوا هذه العمليات في حركة فتح يعلمون بذلك أم لا يعلمون، ففي كلتا الحالتين تكون النتيجة واحدة وهي استغلال إسرائيل لهذه العمليات وتجييرها لصالحها.

هذا إذا سلمنا بأن حركة فتح لم تكن مخترقة من الموساد الإسرائيلي كبقية البلدان والجيوش العربية كما أوضحنا في الباب الرابع من هذا الكتاب، وكان هناك اعتقاد بين أوساط المفكرين والسياسيين الفلسطينيين أن تلك العمليات كانت تجري بموافقة، إن لم تكن علنية فإنها تكون ضمنية من الإسرائيليين أنفسهم من أجل حصولهم على

مبررات توجيه ضربات للأماكن التي تدل عليها أثار أقدام الجناة، فكانت برأيهم أنها عمليات لا تقدم ولا تؤخر في القضية الجوهرية إنما كانت تخدم الأهداف الإسرائيلية قطعًا دون غيرها.

فإذا خلصنا إلى القول بإن حركة فتح كانت مخترقة من الموساد الإسرائيلي كبقية المرافق الأخرى في الدول العربية، المرافق السياسية والاقتصادية والعسكرية والبرلمانية وأسلحتها الجوية، نجد أن حركة فتح وغيرها من الحركات التحررية ليست استثناء، وأن جذور الموساد تضرب عمقًا فيها..

وهذا يعيدنا إلى تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية في مؤتمر قمة القاهرة عام ١٩٦٤ وتنصيب المحامي الفلسطيني والسياسي الكبير الأستاذ المرحوم أحمد الشقيري على رأس تلك المنظمة واعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وهذا بحد ذاته كان إعلانًا رسميًا من دول الجامعة العربية بالتخلي عن تعهداتها بتحرير فلسطين وتحميل مسؤولية التحرير للفلسطينيين أنفسهم دون الإشارة إلى مساعدتهم ماليًا وعسكريًا.

قبل الأستاذ أحمد الشقيري بهذه المهمة الصعبة، وبدأ في محاولة جمع الشخصيات السياسية الفلسطينية ليتولوا عمليات بناء التنظيم الجديد، وبسبب الشتات والتشرذم الذي حل بالفلسطينيين منذ نكبة عام ١٩٤٨، أي بعد حوالي ستة عشر سنة من المعاناة والهزائم

النفسية، فكان معظم من تولوا مناصب رئاسة منظمة التحرير الفلسطينية الإقليمية من المنتمين إلى الحركة الماسونية العالمية، ثم كان التعيين في تلك المناصب يخضع للنظام الحاكم في بلد التعيين وكانت بعض الأنظمة ترفض تعيين البعض وتوافق على البعض الآخر من أعضاء الحركة الماسونية، وهذا بحد ذاته اختراق صريح وواضح لمنظمة التحرير الفلسطينية، الأمر الذي عرقل مسيرة أحمد الشقيري كثيرًا ولم يتمكن من فعل أي شيء إزاء هذا التصرف العربي نحو الفلسطينيين، بقي الأمر متعثرًا إلى أن تمكنت حركة فتح من السيطرة الكاملة على منظمة التحرير بتسهيل ومباركة من الأنظمة العربية في ذلك الحين.

بعد تولي حركة فتح رئاسة منظمة التحرير الفلسطينية؛ بدأت في إجراء تغييرات جذرية بين المسؤولين في المنظمة، فاستبدلت معظمهم بأعضاء من حركة فتح ليتم إحكام السيطرة على المنظمة الفلسطينية، وأخذت أيضًا في تصفية العناصر المعارضة لفتح في منظمة التحرير وفي التنظيمات الأخرى، فإن دل هذا على شيء فإنما يدل على اختراق إسرائيلي واضح، وخدمة للمصالح الإسرائيلية ابتداء بعزل الشرفاء من الفلسطينيين عن قضيتهم الأساسية مرورًا بالتصفيات الجسدية للرموز السياسية الفلسطينية وانتهاء بتشويه سمعة الشرفاء الفلسطينيين وتصنيف الشعب الفلسطيني بين خائن وعميل ووطني، وكان الوطنيون حسب التصنيفات الفتحاوية

ينحصرون في أعضاء حركة فتح دون غيرها، أما باقي الشعب الفلسطيني فإنه يتبع تصنيفات فنوية أخرى، وهكذا أصيب الشعب الفلسطيني سواء في داخل الأرض المحتلة أو في الخارج بحالة من الوهن والضعف، بسبب الخوف والرعب اللذين فرضا عليهم من حركة فتح.

obeikandl.com

§ الفصل الثاني

بداية حصول إسرائيل على السلاح النووي

في شهر تموز/ يوليو عام ١٩٦٦، ظهر بيان كبير في صحيفة هآرتس الإسرائيلية تضمن احتجاجًا على السلاح النووي في الشرق الأوسط، كثيرون من الموقعين على البيان كانوا من أساتذة الجامعات الذين يعارضون تطلعات إسرائيل في عهد بن غوريون، بما ذلك معارضة الحكم العسكري، وادعت إسرائيل حينها أنها لا تملك أسلحة نووية وأنها لن تكون الأولى في امتلاك الطاقة النووية في المنطقة، وكان التطور النووي قد بدأ في مفاعل ديمونة مع بداية عام ١٩٥٠ ولكن كان يجري بشكل سري للغاية، فقد اتخذت إسرائيل خطوات مختلفة ومتعددة لإخفاء الأمر، ولكن يبدو أن العارفين كانوا أكثر مما كان يعتقد في ذلك الوقت.

مع بداية عام ١٩٦٦ أعطى إشكول تفاصيل عن المشروع لهيئة الدفاع والشؤون الخارجية في الكنيست الإسرائيلي، إلى جانب ستة عشر عضوًا في الكنيست وبعض القادة في جيش الدفاع الإسرائيلي كانوا أيضًا من ضمن الحضور، التقارير التي قدمها موشيه دايان

عن ديمونة في الاجتماع تركت مجالاً ضيقًا للشك حول ما كان يدور في المشروع.

بعض الصحافيين عرفوا عن ديمونة ولكنهم منعوا من نشر معلوماتهم، فعملوا عن طريق النقل عن الصحافة الأجنبية خصوصًا في العناوين الرئيسية للصحف، بدا الازدياد واضحًا بأن إسرائيل كانت تسلح نفسها بالأسلحة النووية، البروفسور "آرنست دافيد برغمان" رئيس هيئة الطاقة الذرية الإسرائيلية وهي هيئة رسمية، توقف عن قول الحقيقة بصراحة مخفيًا ذلك تحت عنوان التطور في الطاقة الذرية للأغراض السلمية، العالم "يوفال نويمان" الذي سلمه المشروع النووي الإسرائيلي كتب يقول: "عشية حرب الأيام الستة، كان لدى إسرائيل بنية نووية واسعة وكانت تقديرات واشنطن تقول بأن إسرائيل تمتلك قنبلتين نوويتين.

المشروع النووي الإسرائيلي كان قد بدأ ردًا على المحرقة النازية، القتل الجماعي المزعوم لليهود في أوروبا أثار النظرة إلى أن دولة إسرائيل تحتاج إلى قنبلة ذرية لمنع "اوسشفيتس" أخرى، الافتراض الاستراتيجي كان أن إسرائيل القوية تستطيع ردع الدول العربية من محاولة تدميرها، وأن امتلاك إسرائيل لأسلحة نووية فإن أعداءها سوف يقتنعون للاعتراف بها وعقد صلح معها، الخوف من الانتقام النووي يمنع العرب من الهجوم ضد إسرائيل؛ كما أفادت صحيفة

يديعوت احرنوت نقلاً عن معهد أبحاث بريطاني، غير أن الرأي في إسرائيل حول هذه المسألة كان منقسمًا بين العسكريين والسياسيين.

أثار مشروع ديمونة خلافات اقتصادية وسياسية، فمن الطبيعي أن النضال والكرامة والكبرياء كانت جميعها مشمولة بهذه الخلافات، بعض المعلومات كان قد تم الكشف عنها، فالمعلق العسكري "إسرائيل باعر" كتب كتابًا عن الموضع، عارض فيه أن يعتمد أساسًا أمن الدولة على ردع القدرات في التحليل النهائي، كانت مشكلة الأمن الإسرائيلي لا تنحصر في الحل العسكري بل في الحلول السياسية فقط، فمن الأفضل هو نزع السلاح النووي من الشرق الأوسط بكامله، كما كتب المحلل "اليعازر ليفنيه" يقول: إيغال ألون كان يخشى أن الأسلحة النووية سوف تستهلك ميزانيات الجيش وبالتالي تحد من القدرة على بناء قواته التقليدية، كما أنها يمكن أن تدفع الدول العربية للهجوم كما كانوا دائمًا يهددون، وهذا يعني أن العرب كانوا يهددون فقط دون النية بالهجوم لتحرير الأرض من الصهاينة.

أعضاء الكنيست في لجنة الدفاع والشؤون الخارجية أشاروا إلى أنه منذ أن ألقيت القنبلة الذرية على هيروشيما كانت هناك حروب تقليدية لا حصر لها خصوصًا حروب العصابات، وهذا كان الخطر الرئيسي ولن يكون السلاح النووي موجهًا ضدها، أي ضد حرب العصابات، قادة جيش الدفاع الإسرائيلي قلقون من أن القدرات النووية سوف تحد من قدرات العمليات العسكرية إلى درجة الشلل، فلو قرأ

رؤساء الأركان ما كتبه إسرائيل باعر في كتابه حول الأمن الإسرائيلي لعرفوا أن السلاح النووي لن يكون إلا على حساب المعدات الحربية التقليدية وإذا اقتنعوا أن النقاش حول الأسلحة النووية سوف يمنع الحرب، فيمكنهم أن يستنتجوا بأن وقتهم قد ولى، وكان الضباط يخشون من أن امتلاك السلاح النووي سوف يقيدهم ويجعلهم غير لازمين للخدمة العسكرية، ربما كان هذا القلق هو السبب الذي جعلهم مولعين بالقتال ومشاكسين.

مذكرات "هيرتسوغ" وكذلك السجلات الأمريكية وبعض الوثائق التي تم الحصول عليها من أرشيف الدولة الإسرائيلية، جميعها تشير إلى مركزية الموضوع في العلاقة بين إسرائيل والولايات المتحدة، وكيل وزارة الخارجية الأمريكي كتب إلى الرئيس جونسون يقول: "ليس لدينا دليل على أن إسرائيل تنتج القنبلة الذرية" وكان ذلك في شهر مايو/ أيار عام ١٩٦٧، ولكن الافتراض كان أنها تستطيع ذلك خلال وقت قصير عند الحاجة، كان من المحتمل أن إسرائيل كانت تُخفي الحقيقة عن الولايات المتحدة، وأضاف وكيل الوزارة: "الشكوك الأمريكية تقوم على أساس، من بين المشاكل الأخرى، رفض إسرائيل لإخبارهم ما الذي كانت تفعله بما هو بين ٨٠ و١٠٠ طنًا من اليورانيوم المركز اشترته من الأرجنتين قبل أربع سنوات من ذلك الوقت، والتهرب من طلبات الولايات المتحدة بزيارات منتظمة إلى مفاعل ديمونة، وفي أوقات أخرى تعمد الإسرائيليون المماطلة

في ردودهم خصوصًا عندما طلبت الولايات المتحدة تفاصيل عن مفاعل ديمونة، السفير هارمان اقترح أن يذهب "أبا إيبان" إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة ليتجنب اللقاء مع وزير الخارجية الأمريكي "دين رسك"، حيث أن الولايات المتحدة سوف تسأل ليفي اشكول عن اليورانيوم الأرجنتيني، وكان قال في مكتب رئيس الوزراء إنه يرغب بالضحك من المسألة.

المجتمع الإسرائيلي لم يؤخذ رأيه في الاختيار بين أولئك الذين يدعمون امتلاك القنبلة الذرية واولئك الذين يعارضونها، ولكن طالما أن معظم الإسرائيليين شعروا بأن وجود الدولة أصبح مهددًا، كان هناك احتمال بعدم وجود فرصة بأن الغالبية سوف تعارض إنتاج قنبلة ذرية.

obeikandl.com

§ الفصل الثالث

تطلعات الإسرائيليين إلى حدود آمنة

استمرار العيش بدون حدود سلام معترف بها دوليًا يجعل المستوطنين الإسرائيليين ليس فقط في حالة قلق دائم، ولكن أيضًا خاضعين إلى شدة الوقتية التي تعطل جهودهم في تحديد هويتهم، أكثر فأكثر أخذ الناس يتحدثون عن حاجة الدولة لاستعادة حدود البلاد التوراتية وذلك يشمل القدس الشرقية، في شهر أيلول/ سبتمبر عام ١٩٦٦ أجرت جريدة يديعوت أحرنوت مناقشة مع رسميين في وكالة يهودية حول وضع الحركة اليهودية، محرر الجريدة "هيرتسل روزنبلوم" تساءل فيما إذا كان ممكنًا إحضار ملايين من اليهود إلى إسرائيل بحدودها الحالية أي عام ١٩٦٦، المتحدثون الرسميون في الحركة الصهيونية تجنبوا الإجابة على هذه التساؤلات التي طرحها الإعلام الإسرائيلي.

بعد بضعة أسابيع من ذلك الوقت نشرت صحيفة "معاريف" الإسرائيلية رسالة إلى المحرر من قارئ يتصارع مع أسس الصهيونية الإسرائيلية العلمانية يقول في الرسالة: "بدلاً من تهويد الخليل موقع قبور الآباء الجوالين فقد بنينا رامات غان وبدلاً من حماية قبر راحيل فإننا نحمي "كيبوتس هاتتا" في الجليل، وفوق هذا كله بدلاً من الصعود

إلى جبل الموريا في القدس بنينا تل أبيب"، لقد كان تقسيم القدس حقيقة تشكل جرحًا مفتوحًا لا زال مفتوحًا لدى اليهود المتدينين، فالقدس الحقيقية هي تلك المدينة التي داخل الأسوار كما يعتقدون، الشاعر "أوري تسفاي غرينبيرغ" أعلن عام ١٩٤٩ مشيرًا إلى المدينة القديمة وكعضو في الكنيست الأول تساءل: لماذا نريد دولة بدون القدس؟.

- القدس والأحلام الصهيونية:

الخط الأخضر الذي يقسم فلسطين ترك القدس اليهودية على حافة الممر الضيق، معزولة عن باقي البلاد، ومقسمًا المدينة بحزام من البيوت المهدمة وحواجز من الأسلاك الشائكة وجدران إسمنتية وحقول ألغام، هذه لم تكن أرض أحد، في الجانب الآخر حيثما توجد أسوار المدينة القديمة (الجزء الإسرائيلي من المدينة).

مع العام ١٩٦٧ من انقطاع أغلب المواقع التي تشكل المعالم الدينية والتاريخية اليهودية كما يعتقد اليهود بما فيها حائط البراق أو حائط المبكي كما يسمونه، كانت القدس أيضًا تتراجع إلى الخلف أمام الازدهار في تل أبيب، ففي القدس المركزية كانت أجواؤها تسيطر عليها ظلال الماضي التي خلفها الانتداب البريطاني وكانت المدينة يغمرها الغبار والتعاسة.

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان السكان اليهود في القدس من المتدينين ولكن زعماء الحركة الصهيونية وثيودور هرتسل بشكل رئيسي ارتبطوا بالقدس بتردد، وفي بعض الأحيان بالعداء، حيث كانت المدينة دينية بالنسبة لهم ليست مثل تل أبيب التي تعتبر العاصمة للمشروع الصهيوني فكانت تعد قلعة المعارضة الأرثوذكسية للصهيونية، البريطانيون رأوها عاصمة البلاد ولكن الزعماء اليهود أهملوها كما يقول الإعلام الإسرائيلي، وبقبول قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ تكون الصهيونية قد تنازلت عن القدس وقبلت بأن تكون المدينة جسمًا مستقلاً، وكانت القدس قد أعلنت عاصمة لإسرائيل بعد ثمانية عشر شهرًا من قيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين، تحت ضغط من المتدينين اليهود سكان المدينة من اليهود كانوا متحمسين من أجل هويتهم كمقدسين، وكان ذلك عمليًا ما يشتركون به جميعًا، الأغلب كانوا يهودًا علمانيين ولكن المتعصبين الأرثوذكس نادرًا ما وجدوا أنفسهم في الجوار العلماني في بيت هاكيرم أو العكس، سكان رحافيا لم تكن عاداتهم أن يزعجوا الجوار مثل حي المصرارة، عدد قليل فقط من المقدسين انتقلوا إلى بيت صفافا وهي قرية عربية إلى الجنوب من القدس والتي كانت مقسمة بالخط الأخضر، كانت المدينة خليط من الجوار والجاليات كل واحدة منها بحدودها الخاصة وشخصيتها المميزة بعضها يعكس نسيمًا للحجارة والإيمان وبشكل فريد بين مدن العالم فقد استوحت الكُتَّاب والشعراء وليس لديها قصة واحدة فكل صيغة أو تعميم عنها

فيه الصدق والحقيقة، خلال الأعوام التسعة عشر من حياة المدينة المقسمة تضاعف عدد الإسرائيليين ليصل إلى ما يقرب من مائتي ألف نسمة، في بداية عام ١٩٦٧ كانت ثالث أكبر مدن الكيان الصهيوني في فلسطين بعد تل أبيب وحيفا، فقد نما عدد السكان اليهود بفضل المهاجرين الجدد الذين أرسلوا إليها لتقويتها ولكنهم في الحقيقة أضعفوها اقتصاديًا واجتماعيًا، بداية أقاموا في غرف مستأجرة أو في البيوت التي استولوا عليها من العرب، ومع تدفق المهاجرين أسكنتهم الدولة في "معبروت" في خيام وعشوائيات وبعد ذلك بدأت الحكومة الإسرائيلية تبني لهم وحدات سكنية وبيوتًا في مجمعات سكنية، ولهذا أصبحت بعد فترة قصيرة مناطق السكان الذين يعيشون فيها تحت خط الفقر، معظم المهاجرين الذين اسكنوا فيها كانوا من اليهود المهاجرين من الدول العربية، وأغلبهم كان يعتمد على المساعدات الاجتماعية التي تقدمها لهم المؤسسات اليهودية من الخارج.

عاشت القدس بالتوتر الذي يحيط بالمدن، الجدران الدفاعية التي أقيمت خارج المنازل في شارع الملك جورج فوق المتنزه المطل على البلدة القديمة خط الحدود لبيت الزوار اليهود الذين أحبوا أن يقوموا برحلات خطرة وشاذة من جميع أنحاء العالم وأطفال أيضًا كانوا يتخطون الحدود بالخطأ، أو يدخلون بدون قصد إلى المناطق المحرمة ليجمعوا بعض مخلفات الحديد لبيعها، كان هؤلاء يدوسون

أحيانًا على ألغام أرضية وكان يمكن مشاهدة الجنود الأردنيين في بعض المواقع، وأي واحد منهم يحاول أخذ صور كان يُعرِّض نفسه لإطلاق النار من قبل الجنود الأردنيين، القناصة الأردنيون كانوا يفتحون النار في فترات متفاوتة وكانت تقع عدة حوادث وجرحى في الجانب الإسرائيلي، الحوادث الخطيرة كان يجري التعامل معها عن طريق مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بينما كانت الحوادث المحلية فقط تجري تسويتها عن طريق لجنة الهدنة المشتركة، احتج الأردنيون بأن إسرائيل تخالف اتفاقية وقف إطلاق النار بمنع وصول الأردنيين إلى طريق بيت لحم وتمنع إعادة إصلاح البيوت المهجورة على طول الحدود مثل "بيت طنوس" غالبًا كانت هذه الأمور تشكل التوتر، إسرائيل من جانبها ادعت أن الأردن كان يطلب منه أن يسمح للإسرائيليين بالصلاة على حائط المبكى في القدس القديمة.

في ربيع عام ١٩٦٦ أعلن اشكول أن الوصول إلى حائط المبكى اليهودي في القدس هي مسألة "سرمدية" بمعنى أمر أبدي، وفي صيف ذلك العام في يوم الصيام المقدس للإسرائيليين في التاسع من شهر آب/ أغسطس جاءت مقولة في صحيفة معاريف الإسرائيلية اختتمتها الصحيفة بالعبارة التالية: "حائط المبكى يبكي اليوم على أطفال إسرائيل الذين هم ليسوا إلى جانبها"، الأماكن المقدسة في القدس القديمة قد كتب عنها بلفيرد في الصحيفة عام ١٩٦٧ "أرواحكم تصرخ من أجلكم ولكن أقدامكم لن تطأ تلك الأماكن"، ونشرت صحيفة

يديعوت احرنوت بأن السلطات الأردنية قد أطلقت اسمًا جديدًا على الشارع المؤدي إلى حائط المبكى، وهو شارع حائط البراق، نسبة للحصان الذي سرى بمحمد من مكة في الحجاز إلى بيت المقدس، السلطات الأردنية سمحت للسواح اليهود بالوصول إلى حائط المبكى ولكن ليس للإسرائيليين.

- الحنين נוסטלגיה:

الحدود التي حددتها الأمم المتحدة والتي عرفت بالخط الأخضر لم تكن تتفق من وجهة النظر اليهودية ومع خارطة الأحلام الصهيونية إلا أن الحركة الصهيونية فضلت التخلي عن مناطق واسعة من واقع طموحاتها، فحرب الاستقلال عام ١٩٤٨ أعطت إسرائيل مناطق أكثر من المناطق التي خصصتها الأمم المتحدة للكيان الصهيوني غير أن هذا لم يلغ الشعور عند الإسرائيليين بأنهم تنازلوا عن الحلم الأصلي مُعلنين حقهم بكل أرض فلسطين، وعلى الرغم من أن إسرائيل لم تطالب في ذلك الوقت بالمناطق التي بقيت خارج الخط الأخضر، حيث كان هناك إجماع بأن الحدود المتفق عليها بموجب اتفاق وقف النار كان من الصعب على إسرائيل أن تحمي نفسها بتلك الحدود.

بعد أن تولى ليفي اشكول رئاسة الوزراء في الكيان الصهيوني أخذ يبحث في مسألة التوسع الممكن لحدود إسرائيل، وفي شهر حزيران عام ١٩٦٣ كان رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلي "تسفاي

تسور" وكان إسحق رابين نائبه، رابين شرح لاشكول الحدود التي تتطلع إليها إسرائيل ينبغي أن تكون مع نهر الأردن شرقًا وقناة السويس جنوبًا ونهر الليطاني شمالاً، وبرغم أنه لم يقترح عملاً عسكريًا لتغيير الحدود التي كانت قائمة في ذلك الوقت، اعتقد رابين بأن هذا التغيير سيكون مرغوبًا فيه إلا أنه غير جوهري ولكنه يستحق التفكير به إن سنحت الفرصة، بعد أشهر كان لدى جيش الدفاع الإسرائيلي خطة تحت رمز "الكرباج" لاحتلال الضفة الغربية كاملة بما فيها القدس الشرقية.

كما كان هناك اقتراح آخر تحت رمز: موتسارت للسيطرة على كل المواقع التي لا تخضع لإسرائيل في ذلك الوقت، مثل: "رامون هاننتسوف" اللطرون على الطريق إلى القدس ومناطق أخرى حسب الخطة المسماة "بناي أور" أي أبناء النور، في حالة قيام الدول العربية بمهاجمة إسرائيل، وفي تلك الحالة سوف يحاول الجيش الإسرائيلي أن ينقل ميادين الحرب إلى مناطقهم أي المناطق العربية وستكون إسرائيل بطيئة في إخلاء المناطق التي تكون قد تمكنت من احتلالها، ما لم يأخذ الانسحاب منها مكانه بموجب نصوص اتفاقيات تفرض حدودًا أكثر أمنًا بين إسرائيل وجيرانها الأردن وسوريا، وكانت إسرائيل قد حاولت لعدة سنوات التوصل إلى اتفاقية مع الأردن لتعديل الحدود في منطقة اللطرون، الممثل الإسرائيلي في

لجنة الهدنة المشتركة شعر بأن الدولة يمكنها إنجاز أهدافها بزراعة الأراضي وتحسين أوضاعها.

مما تقدم يتضح أنه كان لإسرائيل نوايا توسعية منذ عام ١٩٦٣، وأن الحرب لم تكن نتيجة لدخول مخربين عرب إلى إسرائيل عن طريق الأردن وسوريا أحيانًا، فإنه ادعاء لا أساس له من الصحة حيث كانت إسرائيل تُعد فعلاً لحرب توسعية لفرض حدود جديدة وخط أخضر جديد، فإسرائيل كانت تريد حدوث هذه الأعمال التخريبية كما تصفها لتُعطي لنفسها المبرر في تأزيم الموقف، وجر العرب إلى حرب واسعة النطاق، لتكون نتائجها احتلال الضفة الغربية من الأردن وبرية سيناء، وتفرض الحدود الجديدة، بحيث يكون نهر الأردن من الشرق وبرية سيناء من الجنوب ونهر الليطاني من الشمال، كما أن الادعاء بأن العرب كانوا يعدون لمهاجمتها ومحوها من خارطة الشرق الأوسط هو أيضًا ادعاء كاذب لسبب بسيط أن أنظمة ما يسمى دول الطوق كانت منشغلة في خلافاتها العربية العربية ولم يكن لديها الوقت لتفكر بتحرير فلسطين أو بحرب ضد إسرائيل.

عام ١٩٦٤ نشرت مجلة الايكونومست البريطانية، وهي مجلة تحتل مكانة مرموقة ورفيعة في الإعلام العالمي، مقالاً مُدعمًا بالخرائط للمناطق التي تنوي إسرائيل احتلالها، وشرحت المجلة محاولات

إسرائيل مهاجمة دول الطوق العربية عام ١٩٦٤، نظرًا لارتفاع نسبة البطالة فيها وتدهور الاقتصاد الإسرائيلي بشكل غير مسبوق، إذ وصلت معدلات العاطلين عن العمل إلى ١٦% وهي أعلى نسبة وصلت إليها منذ قيام ذلك الكيان على أرض فلسطين، وحسب المجلة البريطانية قام ليفي اشكول رئيس الوزراء في الكيان الصهيوني آنذاك بزيارة رسمية لبريطانيا لحشد الدعم والتأييد لمشروع الهجوم الإسرائيلي ضد البلدان العربية، ورغبة إسرائيل في حل أزماتها الاقتصادية وإزالة أثار البطالة، ولن يتم ذلك إلا بالتوسع في حدودها التي فرضتها الأمم المتحدة عام ١٩٤٨، قوبل اشكول بعدم قبول بريطانيا تأييد ودعم إسرائيل في مشروع الحرب التوسعية، وكان رد رئيس وزراء بريطانيا في ذلك الوقت بأن حكام منطقة الشرق الأوسط من الجنرالات العسكريين، الأمر الذي قد يؤدي إلى اندلاع حرب شاملة في المنطقة في الوقت الذي تواجه فيه بريطانيا أزمات اقتصادية حادة، مما يجعلها غير قادرة على الوقوف إلى جانب إسرائيل في الحرب المقترحة، وعليه طلب من اشكول التريث لحين انفراج الأزمات الاقتصادية في بريطانيا وتتمكن من مساندة حليفتها إسرائيل، وذلك حسب ما أوردته مجلة الايكونومست.

ذكرت المجلة في مقالها أنها حصلت على تلك المعلومات من المحادثات السرية بين رئيس وزراء إسرائيل ورئيس وزراء بريطانيا، وواصلت في مقالها بأن اشكول غادر لندن متوجهًا إلى واشنطن

لإجراء محادثات بهذا الشأن مع الرئيس الأمريكي جونسون، إلا أنه تلقى نفس الرد نظرًا لظروف أمريكا الاقتصادية، وبسبب التورط الأمريكي في الحرب الفيتنامية وانخفاض قيمة الدولار بالمقارنة مع العملات الأخرى، مما جعل أمريكا غير قادرة على مساندة إسرائيل في حرب جديدة، وطلب الرئيس جونسون من اشكول التريث لحين انفراج الأزمة الاقتصادية الأمريكية والخروج من حرب فيتنام.

المتتبع لتلك التطورات السياسية والاقتصادية العالمية كان يدرك تمامًا أن الانفراج الاقتصادي في كل من بريطانيا وأمريكا لن يكون قبل ثلاث سنوات على الأقل، أي مع بداية عام ١٩٦٧، وعلى هذا الأساس توقع المحللون الاقتصاديون والمراقبون السياسيون نشوب حرب بين العرب وإسرائيل في المنتصف الثاني من عام ١٩٦٧، وقد جاءت توقعاتهم وتحليلاتهم الدقيقة في مكانها، وحصلت الحرب في الخامس من حزيران عام ١٩٦٧، وخسر العرب الحرب وتوسعت إسرائيل في حدودها الشمالية والجنوبية والشرقية تمامًا كما جاء في الخارطة التي نشرتها مجلة الايكونومست عام ١٩٦٤.

في ذلك الوقت وجَّه صحافي بريطاني سؤالاً لوزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك "موشيه دايان" عن كيفية السماح بنشر مثل تلك المعلومات المتعلقة بنوايا إسرائيل في إثارة حرب والتوسع على حساب العرب؟ وكان رد دايان بالحرف الواحد وبكل صلافة: "العرب لا يقرأون وإن

قرأوا لا يفهمون وإن فهموا لا يطبقون وإن طبقوا لا يحسنون، لهذا إننا لا نخشاهم ولا نخشى نشر خططنا التوسعية".

فيما يلي سوف استعرض وقائع وأحداث وما جرى في تلك الحرب ليكون في ذلك تذكير للأحياء ممن عاصروا تلك الفترة، ولعلها أيضًا تكون أخبارًا صادقة للأجيال القادمة عن هزيمتنا العسكرية والنفسية والتي ربما تساعدهم على عدم السقوط في تلك الأخطاء القاتلة، وعدم الاعتماد على دخول الحرب بمنطق الطبلة والربابة التي ما قتلت ذبابة، كما وصفها شاعرنا الكبير المرحوم نزار قباني في قصيدته المشهورة عالم ١٩٦٧ "دفتر على هامش النكسة".

openkandl.com

§ الفصل الرابع

اليوم الأول من الحرب

صبيحة يوم الاثنين الخامس من حزيران عام ١٩٦٧، وفي تمام الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والأربعين كتب بار ديان في مذكراته "اعتقد أن الحرب قد بدأت، سربان من طائرات ميستير طارا على ارتفاعات منخفضة"، وكان يعني بذلك انطلاق الطائرات الإسرائيلية لضرب القواعد الجوية المصرية، وبار ديان هو قائد فيلق دبابات في جيش الدفاع الإسرائيلي، وبعد خمس وأربعين دقيقة كانت إسرائيل قد حسمت المعركة لصالحها، فالطائرات التي انطلقت تمكنت من تدمير مئات الطائرات المصرية وهي رابضة في أرضها خالية من الوقود، إذ تم تدميرها دون أن تشتعل، نظرًا لعدم وجود وقود في خزاناتها، أما الحرائق التي شبت في القواعد الجوية المصرية فقد كانت نتيجة اشتعال ناقلات الوقود أو صهاريج الوقود المحمولة قبل أن تتمكن من الوصول إلى الطائرات في مدرجاتها.

هنا لا بد من التساؤل عن حالات التأهب والاستنفار القصوى التي كانت مصر قد أعلنتها قبل أسبوعين من يوم الخامس من حزيران ٦٧ تحسبًا لأي هجوم مفاجئ من العدو، فهل كان عدم تزويد الطائرات المصرية بالوقود في الوقت المناسب يندرج تحت ذلك

الاستنفار، وتلك الاستعدادات التي كان يعلن عنها لمواجهة العدو الإسرائيلي؟ من هذا يتبين تمامًا أنه لم تكن لدى القيادة السياسية المصرية في تلك الفترة على الأقل نوايا لمهاجمة الكيان الصهيوني! وإنما كانت البيانات والتهديدات بضرب إسرائيل في العمق لا تتعدى نطاق الحرب النفسية، مما جعل إسرائيل تستغل ذلك بالقيام بهجوم جوي بما يعرف بـ (Blitzkrieg) بمعنى حرب خاطفة أو حرب بسرعة البرق، أنهت فيه سلاح الجو المصري وجعلت القوات البرية وارتال الدبابات المصرية في سيناء مكشوفة بدون غطاء جوي، وتحت تحكم السلاح الجوي الإسرائيلي.

على صعيد المعارك البرية فقد كانت أصوات المدافع وإطلاق النار تدوي في كل مكان وفي كل اتجاه، واستمرت العربات العسكرية تسير عبر أرض تحترق تمطرها شظايا القنابل، دبابة من نوع باتون تدهورت وأسرع "باردیایان" وفرقته لإصلاحها، وكانوا يسيرون في بيارة برتقال بالقرب من رفح، وتابعوا سيرهم ليروا القرويين يفرون من أمامهم، وكان سلاح الجو قد أكمل تدمير معظم القوة الجوية المصرية، قليلون من الإسرائيليين عرفوا ذلك وكانت تلك أهم ساعات تحمل معها الرعب، حيث كان الرعب يسيطر على الإسرائيليين في كافة أنحاء إسرائيل، بسبب التعتيم الإعلامي الذي فرضه الجيش الإسرائيلي على سير المعارك، وبسبب ما كانوا يستمعون من المصدر الوحيد لهم وهي إذاعة صوت القاهرة باللغة العبرية "إذاعة كول كاهير".

في تمام الساعة الثامنة وعشر دقائق أعلن راديو إسرائيل أن مصر كانت تهاجم إسرائيل، وصدرت الأوامر عبر الإذاعة لجنود الاحتياط بالتوجه إلى وحداتهم على الفور، انطلقت صفارات الإنذار معلنة قرب هجوم جوي ولكن لم يكن ذلك سوى تجربة من سلسلة التجارب التي يقوم بها الدفاع المدني، وفي الساعة التاسعة والنصف أذاع راديو إسرائيل أن سلاح الجو المصري تلقى ضربة مدمرة، وقام عيزر وايزمان بالاتصال بزوجته هاتفيًا الساعة العاشرة صباحًا وأخبرها أن إسرائيل ربحت الحرب، وبعد دقائق عقد المتحدث الرسمي باسم جيش الدفاع الإسرائيلي مؤتمرًا صحافيًا للمراسلين العسكريين الذين لم يسمح لهم بكشف الأخبار السريّة، وفي العاشرة والنصف اتصل مساعد وزير الدفاع ورئيس الأركان السابق "تسفاي تسور" برئيس الوزراء دافيد بن غوريون وأعلمه أن ١٣٧ طائرة مصرية قد دمرت وأن إسرائيل فقدت من ٦ – ٧ طائرات فقط، وقبل الحادية عشرة صباحًا تحدث موشى ديان وزير الدفاع في الإذاعة الإسرائيلية ولم يذكر شيئًا عن تدمير سلاح الجو المصري غير أن راديو صوت إسرائيل الناطق باللغة العربية أذاع بأن ١٢٠ طائرة مصرية قد تم تدميرها، بعض الأشخاص اتصل مع الوزير "غفاني" وأخبره أن ١٥٠ طائرة للعدو قد دمرت، بينما صدرت نشرة جريدة معاريف الإسرائيلية تقول استنادًا إلى إذاعة صوت إسرائيل العربية، أن ١٢٠ طائرة مصرية قد دمرت في الهجوم الجوي الأول، أحد العاملين في السفارة

الإسرائيلية في باريس سرَّب معلومات لوكالة أنباء رويترز أن القوات الجوية الإسرائيلية دمرت ١١٧ طائرة مصرية على الأرض.

مراسل جريدة هآرتس في شمال فلسطين المحتلة سمع أخبارًا من ضابط في الشرطة في مدينة عكا أن الطائرات التي دمرت في مصر وصل عددها إلى ٢٢٠ طائرة، المراسل يهودا ارييل كان يعمل أيضًا مع وكالة أنباء ألمانية، أسرع إلى مكتب البريد في نهاريا التي كان معظم سكانها من اليهود الألمان ليرسل برقية، إلا أن مكتب البريد استدعى الدكتور "فرتس فولف" مدير البريد ليقرأ برقية "ارييل" ورفض إرسالها وقال هذا غير ممكن، من يستطيع أن يصدق هذا الشيء؟ وأضاف اعتقد أن ارييل قد أصابه مس من الجنون.

لا أحد يلوم الدكتور فرتس فولف على عدم تصديق رواية "ارييل" كمعظم الإسرائيليين الذين لم يصدقوا تلك الأنباء، حيث أن إذاعة القاهرة العبرية "كول كاهير" كانت تذيع أن تل أبيب تحترق والمقاتلين الفلسطينيين يتجولون الآن في شوارعها لا يخافون الموت، ولم يكن لدى الإسرائيليين مصدر آخر نظرًا للتعتيم الذي فرضه جيش الدفاع الإسرائيلي على وسائل الإعلام الإسرائيلية.

فيما بعد كتب "بار دايان" في مذكراته اليومية الساعة الثانية عشرة والدقيقة الأربعين أن معركة خان يونس قد انتهت، وأن الجنود المصريين يفرون الآن من المدينة، وأن المراكز الحكومية في رفح تشتعل بالنيران وأن وحدة عسكرية كانت تمر من هناك ذكرت بأن

جثت المصريين كانت على طول الطريق وفي جانبنا الأيسر كانت أصوات المدافع تدوي، وسأل قائلاً هل هذه معركة جديدة؟ بعدها رأى فرقة الدبابات تعود إلى الطريق العام لتواصل قتالها. فقال: اعتقد أن رب جيوش إسرائيل معهم الآن.

انطلق صوت رئيس الوزراء ليفي اشكول عبر إذاعة إسرائيل وهو يخطب، ولكنه لم يتطرق إلى ذكر تدمير القوة الجوية المصرية، في الثانية عشرة والنصف التقى اشكول مع موشى ديان ورابين والون ويادين كان أيضًا متواجدًا في اللقاء. تقرير الوضع كان يشير إلى أن قوات جيش الدفاع الإسرائيلي البرية والآلية كانت تتقدم في سيناء، ديان غيَّر فكره بشأن قطاع غزة وسمح لوحدات عسكرية باحتلال مدينة غزة، وكانت القوة الجوية الإسرائيلية لا زالت تقصف القواعد الجوية المصرية. حاول مراقبوا الأمم المتحدة وقف إطلاق النار في القدس إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل وواصل الإسرائيليون إطلاق النار باتجاه الأردنيين في القدس، كما أن الأردنيين وسَّعوا عملياتهم العسكرية في الشمال مهددين "رامات دافيد" القاعدة الجوية الإسرائيلية في الشمال، واقترح ديان غزو المنطقة ومدينة جنين في الضفة الغربية لحماية القاعدة الجوية وقال "لا نريد احتلال المدينة" ووافق رئيس الوزراء أشكول على ذلك ولكنه أكد إذا كان ممكنًا اتركوا المدينة، وكان ديان قد أصدر أوامره لاحتلال مدينة جنين قبل لقائه باشكول، وأمر سلاح الجو بقصف الأردن وسوريا ولكي يبدأ

جيش الدفاع الإسرائيلي عملياته لاحتلال جبل "ماونت سكوبص" في القدس فقد وافق اشكول على أوامر ديان، وفي الساعة الثالثة من بعد ظهر الخامس من حزيران أخبر موسى ديان رجال الصحافة بأن إسرائيل تمكنت من تدمير أربعمائة طائرة مصرية وهي جاثمة على أرض القواعد الجوية المصرية.

الاجتماع الصحافي شمل أهم نقاش دار أثناء فترة الحرب حول سقوط الضفة الغربية والقدس الشرقية بأيدي إسرائيل، وقال ديان إني اقترح تجنب الدخول في حربين، محذرًا من الدخول في حرب مع الأردن وتساءل عن ذلك "إسرائيل ليور" بقوله: "ماذا يريد موشى ديان؟" كما اقترح ديان أيضًا احتلال منطقة اللطرون حسب الخطة التي أعدت مسبقًا، إسحق رابين الذي كان غير راغب باحتلال الضفة الغربية من الأردن قال: "إننا ندمر قوتهم الجوية فلماذا نحتاج أخذ أراضيهم في هذه المرحلة؟" وكان إسحق رابين سابقًا قد رفض تفويض الجنرالات في القيادة المركزية بضرب الأردنيين كرد على قصفهم مدينة القدس.

§ الفصل الخامس

مشاركة الأردن في المجهود الحربي العربي

مشاركة الأردن في المجهود الحربي العربي ووقوفه إلى جانب مصر وسوريا كان هاجسًا يؤرق القيادتين السياسية والعسكرية في الكيان الصهيوني، وكان قد تم في المناقشات التي دارت في الاجتماعات خلال الأيام العشرة التي سبقت الحرب؛ اتخاذ قرارات حول عزم إسرائيل احتلال الضفة الغربية من الأردن بما فيها القدس الشرقية إذا شارك الجيش الأردني في الحرب المنتظرة عام ١٩٦٧.

الأردن عندما نشبت الحرب بين إسرائيل وكل من مصر وسوريا وجد نفسه أمام خيارين لا ثالث لهما، الخيار الأول يتلخص في أن يشارك الأردن في المجهود الحربي العربي ويتحمل النتائج مهما بلغت، والخيار الثاني أن يلوذ بالصمت ولا يشارك في تلك الحرب ويظل بعيدًا عنها. في الخيار الأول أقيمت الحسابات السياسية الأردنية على احتمال سقوط الضفة الغربية كاملة وانتهاء الوجود الأردني فيها وبهذا يكون الأردن قد مُني بهزيمة نكراء، أما الخيار الثاني فإنه قد يؤدي بالقيادتين المصرية والسورية إلى محاولة تعليق أسباب الهزيمة العربية على شماعة الأردن باعتباره يسيطر

على أطول خط للنار مع إسرائيل وأن ذلك يجعل الأردن يلعب دورًا إيجابيًا وفاعلاً في النصر وفي الهزيمة أيضًا، وهذا ربما يؤدي إلى حدوث تغييرات جذرية في الأردن ينتهي معها حكم العائلة الملكية الهاشمية حيث تكون الهزيمة في هذه الحالة هزيمة سياسية.

كان الأردن في ذلك الوقت بقيادة الملك الحسين بن طلال يعي تمامًا نتائج الخيارين والظروف التي سوف تنجم عنهما في كلتا الحالتين، ففضل أن تكون الهزيمة عسكرية ولا تكون هزيمة سياسية، ولهذه الأسباب قرر الأردن أن يأخذ الخيار الأول والدخول في حرب إلى جانب مصر وسوريا.

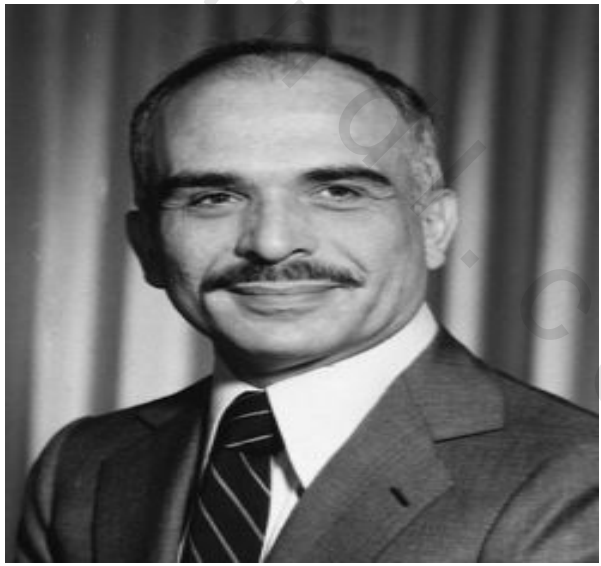

- الملك حسين -

على الرغم من قرار القيادتين السياسية والعسكرية في الكيان الصهيوني باجتياح الضفة الغربية، قام الأردنيون بمهاجمة إسرائيل بموجب قرار المشاركة في المجهود الحربي العربي غير أن رئيس الوزراء في الكيان الصهيوني "ليفي أشكول"، وكذلك رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلي "إسحق رابين" كانا لا يرغبان بالمواجهة العسكرية مع الأردن لأسباب عديدة أهمها:

١- الجيش الأردني يعتبر من أكثر الجيوش العربية تدريبًا وخبرة في خوض المعارك البرية خصوصًا في مجال حرب الدبابات والمدفعية وأن معظم قادة الجيش وضباطه تلقوا تدريباتهم العسكرية في بريطانيا وإنهم يجيدون فنون التكتيكات الحربية إجادة عالية.

٢- سلاح الجيش الأردني قليل بالمقارنة مع السلاح الإسرائيلي إلا أنه قادر على تكبيد إسرائيل خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد، ولا ترغب إسرائيل بتحمل تلك الخسارات كما أن جبهة المواجهة مع الأردن هي أطول جبهة من النواحي الجغرافية والطوبغرافية واللوجستيكية، الأمر الذي يجعل الجيش الإسرائيلي غير قادر على حماية حدود إسرائيل الشرقية بشكل عملي، في الوقت الذي تكون فيه القوات الإسرائيلية منشغلة مع السوريين والمصريين.

خلال الحرب سقطت الضفة الغربية كاملة في أيادي الإسرائيليين ولم يستطع النظام المصري التحريض ضد النظام الأردني حيث شارك الأردن فعلاً في المجهود الحربي العربي، وخسر الأردن الضفة

الغربية، كما خسرت مصر برية سيناء، وخسرت سوريا مرتفعات الجولان الاستراتيجية.

وبما أن الطائرات الحربية الإسرائيلية تمكنت من حسم الحرب لصالح الكيان الصهيوني خلال فترة زمنية بلغت ٤٥ دقيقة أي ثلاثة أرباع الساعة بما فيها انطلاقها من قواعدها وزمن الوصول إلى القواعد الجوية المصرية، فإن تسمية تلك الحرب بحرب الأيام الستة لا يتفق مع الواقع العملي لتلك الحرب، وينبغي أن تكون التسمية "حرب ثلاثة أرباع الساعة"، فخلال ثلاثة أرباع الساعة تمكنت إسرائيل من إنزال كارثة غير مسبوقة بالأمة العربية، وهزيمة عسكرية كبرى، إضافة إلى الهزائم النفسية للأمة العربية والتي ما زالت الأمة تعاني منها حتى اليوم أي بعد حوالي ثلاث وأربعين سنة من تاريخها.

بار دايان وجنوده في الفرقة السابعة لسلاح الدبابات استغل شباك التمويه على الدبابات وجهزها للتحرك وخصص من يقوم بتزويد "حقن طبية" لاستعمالها في حالة تعرض الجنود لقنابل الغاز، وكانت تلك الحقن قد زودت لفرقة المشاة المنقولة قبل يومين على الأقل من بدء الهجوم، مما يشير إلى التنسيق الكامل بين فرق ووحدات الجيش الإسرائيلي استعدادًا لتوجيه الضربة القاضية للأمة العربية، في الوقت الذي كانت فيه الأنظمة العربية قريرة العين بسباتها العميق والأمة مخدرة بالخطابات التخديرية، بعد ذلك وزع إعلان موقَّع من الجنرال "إسرائيل تال" قائد فرق الدبابات المعروفة بفرق

المدرعات الفولاذية وجاء في الإعلان: "اليوم سوف نخرج لسحق الأيادي التي حاولت الوصول إلينا"، موجِّهًا الاتهام إلى المصريين، وأضاف: "هذه المعركة التي أرادها العدو والتي بدأها ولا زلنا نضرب العدو بشدة تصل إلى ضعفي ما يضربنا به"، وشدد على أن إسرائيل تواجه حربًا طويلة، فللمرة الثالثة كان الخنجر المصري يلوح علينا، للمرة الثالثة اخطأ العدو في تصوره الجنوني أن إسرائيل ستركع على ركبتيها، بالدم والنار والحديد فإننا هذه المرة سوف نقتلع تلك المؤامرة من قلوبهم"، ووعد تال أن إسرائيل لن تستهدف المدنيين المصريين وقال: "نحن لا نشتهي أرضهم أو ممتلكاتهم، وإننا لم نأتِ لتدمير بلدهم ولا لامتلاكها، الإسرائيليون جاءوا ليهزموا مؤامرة التدمير وسوف ينتصرون، اليوم برية سيناء سوف تعرف قوة فرقة الفولاذ والأرض سوف ترتجف عندما تصل دباباتنا إليها".

في تلك الأثناء دخل إلى بيت دافيد بن غوريون في تل أبيب، ضابط كبير كان قد أرسله "بار دايان" ليخبر رئيس الوزراء بأن الحرب قد بدأت، وكتب دافيد بن غوريون في مذكراته: "لم يكن هناك داع لكل هذا"، وبقي ثابتًا على موقفه من الحرب وقال: إنه خطأ محزن، بار دايان أراد أن يعلم بن غوريون أنه خلال الساعات القليلة القادمة سوف يقوم جيش الدفاع الإسرائيلي باجتياح مدن خان يونس ورفح جنوب غزة تليهما برية سيناء كاملة إلى قناة السويس.

§ الفصل السادس

اليوم الثاني - الاجتياح البري

واصل فيلق الدبابات السابع ووحدات الجنرال "تال" المدرعة تقدمها كما فعلت قوات "آرييل شارون وأبراهام يافي" واستمر القتال أيضًا في قطاع غزة، يهوشع بار دايان وأصدقاؤه تحركوا إلى الصحراء على طول الطريق الساحلي، وعلى الطريق شاهدوا سيارة جيب عسكرية مدمرة وثلاثة جنود إسرائيليين أمواتًا في داخلها، حيث كانت السيارة قد ضُربت في مقدمتها، في الوقت الذي كان الجنود يجلسون في أماكنهم، أحدهم بعيون خضراء مفتوحة، وآخر مات وهو يمسك بمقود السيارة وعيونه تحملق ثابتة على قطعة من طريق مُعبَّد أمامه، وعلى طول الطريق كان "بار دايان" يشاهد جثث الجنود المصريين، وكانت طائرتا ميراج إسرائيليتان تحلقان على ارتفاع منخفض، كانتا فيما يبدو تطاردان طائرة مصرية من الطائرات القلائل المتبقية من سلاح الجو المصري.

- اريل شارون -

- أعضاء في الكنيست الإسرائيلي -

حوالي الساعة الثانية من صباح يوم السادس من حزيران كان ليفي اشكول قد اعتمد أولويات "ديان" لبقية الحرب بقوله: دمروا الدبابات المصرية، احتلوا شرم الشيخ في سيناء وطريق اللطرون غربي القدس، المدينة المقدسة وكافة أنحاء الضفة الغربية، احتلوا بانياس في مرتفعات الجولان السورية وتل العزازيات والمناطق المحايدة على الحدود السورية، وكانت المعركة لاحتلال طريق جبل "سكوبص" في القدس قد بدأت.

الجنرال "أود بول" أخبر رؤساءه في نيويورك عن تبادل النار على طول الحدود السورية الإسرائيلية، وذكر لهم أن السوريين كانوا يقصفون المدنيين في إسرائيل، كان بول يستعمل القنصلية الأمريكية في القدس كقاعدة اتصالات، أهارون ياريف أخبر الحكومة في تل أبيب بأن السوريين يهاجمون بضعة مدن في الشمال، إلا أن تلك الهجمات أقل تأثيرًا مما كان متوقعًا.

قبل طلوع النهار غادر "أبا ايبان" منزله في القدس في طريقه إلى الجمعية العمومية للأمم المتحدة في نيويورك، بغرض تأخير قرار وقف إطلاق النار، حيث أن جيش الدفاع الإسرائيلي بحاجة لوقت أطول لإنجاز مهماته، زوجته سوزي ودعته إلى السيارة وتحاضنا،

الساعة الرابعة صباحًا سمع "إيغال ألون" من راديو هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) أن الحرب في الشرق الأوسط على وشك

الانتهاء، وكان متخوفًا من أن تنتهي الحرب قبل احتلال القدس الشرقية، وعلى الفور قام بالاتصال مع ليفي اشكول الذي بدوره طلب منه الحضور إلى مكتبه، عندما وصل "ألون" المبنى وجد هناك "مناحيم بيغن" وكان بيغن مع اشكول لذات الغرض. سأل ألون ماذا عن القدس؟ ألون وبيغن ذهبا ليقابلا اشكول سويا وقالا: إنه الوقت المناسب، وأخيرًا أخبر ألون أن اشكول استجاب إيجابًا وأخبر الوزيرين بأن الموضوع ينبغي أن يبحث في اجتماع مجلس الوزراء لاحقًا في ذات اليوم.

اجتمع مجلس الوزراء الإسرائيلي بعد ظهر يوم السادس من حزيران، قبل كل شيء سمع الوزراء البابا في الفاتيكان يقول: "إن القدس يجب أن تصبح مدينة مفتوحة"، وقد شكّل ذلك فرصة أخرى لتجنب الاحتلال، وحسب "إسرائيل ليور" كانت المسألة متأخرة وقال: في هذا اليوم أصبح واضحًا لجميع الوزراء، وكل جنرال في جيش الدفاع الإسرائيلي أن عجلة الحرب لن تعود إلى الوراء، وكانت المناقشات مختلفة تمامًا عما كانت عليه قبل قرار مهاجمة مصر، إذ تقدمت بدون خوف ولم يعد هناك حديث عن تهديد لوجود إسرائيل، بل على العكس استمع الوزراء إلى تقارير مشجعة من "ياريف" الذي قال إن الجيش المصري قد هزم تمامًا.

ليفي اشكول الذي عاش في فلسطين أكثر من خمسين عامًا وجد من السهل في ضوء وضع الخط الأخضر كخط مؤقت وترتيبات اصطناعية نتيجة لفشل عسكري أن تكون كلمته في مجلس الوزراء في ذلك اليوم غير متميزة مع بروز الوضع الجديد، وقال "إن علينا أن نفكر بتحديد أهدافنا الأمنية والسياسية، التي هي برأيي ينبغي أن توجه مباشرة نحو تغيير طبيعة العلاقات الإسرائيلية العربية التي ظلت قائمة منذ عام ١٩٤٨ وفي ضوء هزيمة الجيوش العربية، علينا أن نضع خط تؤكد وضع إسرائيل الصحيح في الشرق الأوسط في الوقت الذي ننجز فيه سلامًا دائمًا وحدودًا آمنة".

اشكول كان على دراية بالمناقشات التي يجريها الموساد مع جيش الدفاع الإسرائيلي ووزارة الخارجية في أعقاب عملية "السموع"، وقد خرجوا جميعًا بنتيجة واحدة وهي أن من مصلحة إسرائيل أن تسمح للملك حسين مواصلة العملية التي كان قد بدأها لتدمير الهوية الفلسطينية باستيعاب الفلسطينيين في الأردن وتشجيعهم على الهجرة.

- ليفي اشكول رئيس وزراء إسرائيل-

أدرك اشكول أن احتلال الضفة الغربية سوف يضع مليون فلسطيني تحت الحكم الإسرائيلي مما يعمق هويتهم الوطنية ويجعلهم يشكلون خطرًا على اليهود الإسرائيليين، لهذا في الليلة التي سبقت عبَّر عن رأيه أن يُعيد الضفة الغربية والقدس، ربما إنه اعتقد بأن الضفة الغربية سوف تخدم إسرائيل في المساومة، وكان يأمل بأن تؤدي المساومة إلى حدود أفضل مع إمكانية الوصول إلى حائط المبكى.

وفي ضوء الماضي ربما توقع أيضًا أن يكون هناك هروب جماعي للفلسطينيين، "إيغال ألون" قدَّم للحكومة فلسفة جديدة كاملة كانت قد وضعت تفاصيلها قبل الحرب تقي بمفاوضة الملك حسين إن لم ينجح ذلك التفاوض فإن على إسرائيل أن تبقى محتلة للضفة الغربية وتعمل إسرائيل على تحويل الضفة إلى منطقة حكم ذاتي مع روابط اقتصادية مع إسرائيل، في غضون ذلك يجب احتلال القدس القديمة ولكن بدون ضمها رسميًا إلى إسرائيل، أما الحدود السورية ينبغي أن تُعدَّل وذلك يعني إبقاء "بانياس" تحت إدارة إسرائيلية، وأن تبقى إسرائيل في المناطق التي احتلتها إلى أن يتم التوصل إلى تسوية سياسية، حتى لو تطلب ذلك أشهر أو سنوات، مع الأخذ بعين الاعتبار عدم التخلي عن قطاع غزة ولكن على إسرائيل أن تبحث عن طريقة لإخراج اللاجئين الفلسطينيين من القطاع.

أما مناحيم بيغن فقد قال إذ ذاك إن احتلال الضفة الغربية من الأردن يعني تحرير الجزء الشرقي لأرض إسرائيل الغربية، وطالب بالتوسع في الاحتلال ليشمل نهر الأردن ولكن بدون الأراضي شرقي النهر، وأكد أنه على إسرائيل أن تسيطر على البلدة القديمة في القدس، وقال إن العالم المسيحي في الغرب سوف يتفهم ذلك، كما خاطب بيغن أيضًا سكان المناطق المحتلة والذين أرادهم أن يغادروها ولكنه كان يتحدث بحذر قائلاً: "سوف تعمل إسرائيل ما بوسعها لإجلاء العرب بطريقة إنسانية".

"موشى ديان" اقترح احتلال شرم الشيخ مع احتلال سلسلة الجبال في الضفة الغربية دون النزول إلى الأردن ومحاصرة المدينة المقدسة، وردًا على اعتراض مناحيم بيغن أضاف ديان: "عمومًا جيش الدفاع الإسرائيلي قادر على الدخول إلي القدس الشرقية في أي وقت عندما تعطي الحكومة كلمتها"، وأمل ديان أن يتجنب الحرب وكان يعتقد بأن أهل المدينة سوف يرفعون الأعلام البيضاء ويطلبون من الجيش الدخول إلى البلدة القديمة، وأضاف بأن المدينة شهدت حروبًا كثيرة ودمارًا، وأن علينا أن نحاول بقدر الامكان أن نأخذ المدينة سلميًا.

كانت تلك لحظات حرجة إذ كان اشكول يعتقد بصدق أن احتلال الضفة الغربية سيؤدي إلى المساومة، ففي تلك الحالة عليه أن يتوقف عن

احـتلال القـدس الـشرقية، وكـان ينبغـي أن يعلـم أنـه لا حكومـة إسرائيلية وبالتأكيد ليست حكومتـه ستكون قـادرة علـى التنـازل عن القدس الـشرقية، وأنـه لـم تكن هنـاك فرصـة أن يتنـازل عنهـا الملـك حسين، احتلال القدس الشرقية هدد بعودة الوضع إلى الطريـق المـسدود الذي كان عليه قبل الحرب.

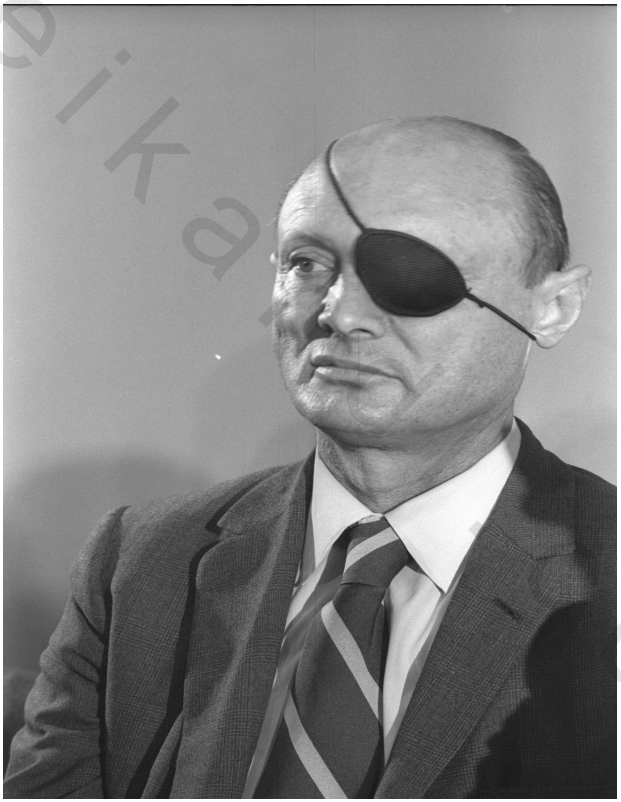

- موشى ديان-

ومرة أخرى لم يكن هناك أي شيء يقدم إلى العرب غير أن اشكول والوزراء الإسرائيليين لم يسألوا أنفسهم لماذا كانت بالضبط فائدة السيطرة على المدينة المقدسة، فإذا أخذ هذا كمسلمات، تخوف حاييم موشية شابيرا وزلتسمان آران أن تجد إسرائيل نفسها في وضع صعب خصوصًا فيما يتعلق بعلاقاتها مع العالم المسيحي إلا أنهما لم يسقطا ذلك الحلم، في منتصف المداولات لم يكن هناك منطق سياسي، ولكن إثارة شعور وكأن أولئك الحضور قد وجدوا فجأة النور مخبئًا فيها أو فجأة رأوا الحقيقة وادعوا أنهم كانوا دائمًا يعرفونها، وفيما إذا كان العلمانيون والمتدينون يعتقدون أن القدس الشرقية هي صهيون الحقيقية أي الكأس الذي تاقت له الأمة اليهودية على مدار ألفي عام.

ذكر إسرائيل ليور أن جميع المناقشات التي جرت بطريقة مرتجلة بدون تنظيم أو بعملية منتظمة، بدون أوراق عمل.. والوزراء لم يدققوا في البدائل، وكان بامكانهم على سبيل المثال، حصر جيش الدفاع بفتح طريق إلى حائط المبكى، بدون حاجة لاحتلال القدس الشرقية، وكان بامكانهم أن يعلنوا أن ذلك يجيء مطابقًا لاتفاقية الهدنة الموقعة عام ١٩٤٩.

- اليوم الثالث.. قرار مجلس الأمن الدولي:

في اليوم الثالث للحرب أصدر مجلس الأمن الدولي قرارًا بوقف إطلاق النار دون أن يتطرق القرار إلى الانسحاب، ورحب أبا ايبان بالقرار، ولما سمع مناحيم بيغن بقرار مجلس الأمن اتصل على الفور مع رئيس الوزراء "ليفي اشكول" ليسأله مرة ثانية عن القدس الشرقية، واتصل اشكول مع موسى ديان وكذلك فعل مناحيم بيغن، ورد ديان بدون تروي وبانفعال أنه ليس بحاجة إلى نصائحهما، وقال إن جيش الدفاع يعمل كل ما يمكن عمله، وفي صباح ذلك اليوم أصدر أوامره لاحتلال القدس الشرقية بالسرعة الممكنة.

قوات "موردخاي غور" البرية كانت قد وصلت جبل الزيتون واحتلت "اوغسطا فيكتوريا" الذي بناه أخر قيصر ألماني لزوجته، ومن هناك بدأت قواته تقصف الحي الإسلامي داخل القدس الشرقية، وقد كان في معركة القدس أخطاء كبيرة أدت إلى وقوع إصابات في جيش الدفاع الإسرائيلي، وكتب "غور" في مذكراته أنه تلقى أوامر بالدخول إلى القدس الشرقية عن طريق بوابة الأسود الساعة الثامنة والدقيقة الرابعة، وفي العاشرة صباحًا أعلن أن جبل الهيكل أصبح لنا، أي الجبل الذي يقع فيه المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة.

هذا ما كان يجري في أيام الحرب الثلاثة الأولى من مداولات ومناقشات حول الأوضاع في الأراضي العربية المحتلة، وحول النصر

الذي باغت الشعب الإسرائيلي وشعوب العالم أيضًا، وكأن احتلال المناطق العربية لم يكن في حسبان الإسرائيليين على الإطلاق أو على الأقل بتلك السرعة المذهلة نظرًا لما كان يواجههم من جيوش عربية مسلحة تسليحًا جيدًا ودبابات حديثة.

على الجانب الآخر حاولنا استقصاء ما وقع أو الاستعدادات العربية وما كان يدور في الساحات العربية أو أنظمة دول الطوق كما كانوا يطلقون عليها، والحقيقة المروعة أن محاولاتنا وصلت إلى طرق مسدودة حيث لم يكن في الجانب العربي ما يؤخذ به عن واقع تلك الحرب، وكان من غير الممكن الاعتماد إلى ما كانت تبثه وسائل الإعلام العربية خلال الحرب، نظرًا لاتضاح عدم المسؤولية، إذ كان البث يعتمد على تضليل الشعوب العربية وزرع الوهم في نفوس الناس للتغطية على فشل الزعامات العربية التي خاضت الحرب.

لهذه الأسباب لم نجد ما يستحق الذكر حول الاستعدادات العربية للحرب بل سمعنا تصريحات تصف أكبر هزيمة عرفتها الأمة العربية عبر تاريخها بأنها كانت "نكسة"، ثم تحولت النكسة في الإعلام العربي الحكومي إلى "انتصار" تحت دواعي أهداف إسرائيل من الحرب، وهي الإطاحة بالزعيم جمال عبد الناصر، وطالما بقي الرئيس في سدة الحكم بتأييد من الشعوب العربية فإن ذلك يعني فشل الخطة الإسرائيلية وبالتالي فقد حقق العرب النصر على إسرائيل.

obeikandl.com

❖ ❖ ❖

المراجع

١ - التوراة اليهودية (التناخ) أسفار موسى الخمسة.

٢ - التلمود لكل إنسان - أ. كوهين ١٩٧٥.

٣ - تاريخ اليهود - الطبعة الأولى عام ١٩٨٨ - بول جونسون.

٤ - مصر القديمة - الثقافة والتاريخ – ج. ي. ماتشيب وايت- تاريخ العائلات الملكة في مصر القديمة).

٥ - جواسيس جدعون– تاريخ الموساد السري– الطبعة الخامسة (ثوماص غوردون).

٦- حياة وتاريخ بابل - ي. أ (واليس بدج).

٧- حرب عام ١٩٦٧ والسنة التي غيرت الشرق الأوسط ٢٠٠٥ الكاتب الإسرائيلي (توم زيكيف).

٨- المكتشفات الأثارية الحديثة في عدد من مناطق الشرق الأوسط.

References

1- The Jewish Torah (Tanach) the Pentateuch

2- Everyman's Talmud - A. Cohen 1975

3- History of the Jews , 1st. edition 1988

4- Ancient Egypt - Culture and History

(J. E. Manchip White 1970)

5- Gideon's Spies – The Secret History of the

Mossad (5th Edition) Thomas Jordan

6 - Babylonian Life and History

(E. A. Wallis Budge)

7- 1967 Israel, The war and the year that transformed Middle East 2005 –

(The Israeli Writer Tom Segev)

8- Many Recent Archeological Discoveries in Middle East Regions

obeikandl.com

المؤلف في سطور

- **د. شفيق عبد الحليم الخليل**
- **مؤرخ وإعلامي، من مواليد فلسطين- يافا، عام ١٩٣٨م**
- **درجة الدكتوراه في الصحافة من انجلترا.**
- **بكالوريوس في الفيلولوجيا من جامعة بريستول في انجلترا**
- **التخصص العلمي :**
  ١. الصحافة والإعلام
  ٢. علوم الفيلولوجيا (فقه وتاريخ اللغات)
  ٣. أنظمة الاستثمار المصرفية
  ٤. دراسات أخرى خاصة بالاركيولوجيا
- **دورتان في سويسرا للتدريب على أعمال المصارف المالية والاستثمارات**
- **يتقن اللغات: العربية – الإنجليزية – العبرانية – الألمانية**
- **البريد الإلكتروني: Charlesdickens2@aol.com**

obeikandl.com

• العمل والخبرات السابقة

- 7 years Promotion Manager for the Mid-East Region – Euro-foreign Banking Corporation – Switzerland- Centered in Beirut – Lebanon
- Middle East Manger for the Swiss Financial Investment Company - Entereit A.G (Intereit Actiengesellschaft) Beirut - Lebanon

- العمل في الصحافة لمدة تزيد على ٣٠ عاما في الخليج العربي والولايات المتحدة الأمريكية، وتشمل الإذاعة والتلفزيون، وتأسيس صحيفة عربية في مدينة كليفلاند بولاية أوهايو الأمريكية باسم " صحيفة البيان "

• صدر للمؤلف :

- السنهدرين بيت : كتاب بمعنى مجلس الكهنوت الصهيوني الأعلى الثاني. نشر في جريدة القبس الكويتية على حلقات أسبوعية بلغت حوالي السبعين حلقة.

- ميشيل دي نوستراداموس: قراءة في كتابه المعنون "القرون" وتصحيح للترجمات المغلوطة التي فسرتها الحركة الصهيونية بقصد الإساءة للأمة العربية والإسلامية، وتحريض شعوب العالم ضد العرب والمسلمين.

- بنو إسرائيل عبر التاريخ : شمس للنشر والإعلام، القاهرة ٢٠١١م

شمس للنشر والإعلام

رؤية جديدة في عالم النشر

في مسعى جاد لتقديم رؤية جديدة تسهم في تصحيح العديد من المسارات في مجال النشر، تم تأسيس "مؤسسة شمس للنشر والإعلام" كخطوة على طريق إرساء أسس مشروع ثقافي متكامل يهدف إلى نشر الإبداع العربي في كافة التخصصات، وإثراء صناعة النشر، وتقديم إضافة حقيقية إلى مسيرة الكتاب العربي، وفق رؤى متوازنة تجمع ما بين طبيعة عملها كمؤسسة تجارية تتطلع إلى تحقيق الربح والانتشار، ومابين تحقيق رسالتها الثقافية.

وتهدف "مؤسسة شمس للنشر والإعلام" إلى تحقيق عدد من الغايات:

- إتاحة الثقافة الرفيعة للقارئ العربي، وتلبية حاجاته من المعرفة.
- الإسهام الفعال في نشر الإبداع العربي، من خلال سياسات ترويج وتوزيع تتلاءم ومقتضيات العصر.
- تفعيل حركة النشر، خاصة لشباب المؤلفين، ورعاية وتشجيع المبدعين، ودعم قدراتهم الفكرية والأدبية، والعمل على نشرها وإبرازها.
- حماية الحقوق الفكرية والمادية للكتّاب، وإعادة صياغة أسس التعامل المادي مع المؤلفين وفق قواعد أكثر إنصافاً.

obeikandl.com

- التعريف بالكاتب والكتاب إعلامياً وجماهيرياً، ومد جسور التواصل بين المبدع والمتلقي.
- إثراء الحياة الثقافية بالأنشطة والندوات والفعاليات، من خلال رؤى تنظيمية وترويجية تضمن نجاحها والمشاركة الفاعلة فيها.
- الوصول بالإبداع العربي إلى القارئ غير العربي، من خلال ترجمة الإصدارات العربية المتميزة إلى لغات مختلفة، والعمل على خلق آفاق عالمية لنشرها بالتعاون مع دور نشر احترافية في العديد من الدول.
- توثيق الصلات بين دور النشر المحلية والعربية والدولية، وكذلك بين الكتاب والمثقفين العرب، والتواصل الفاعل مع المهتمين على اختلاف توجهاتهم، وفق صيغ تعاون إيجابية.
- إعادة نشر التراث المعرفي العربي ذي الإفادة في عصرنا، وتحقيقه وتدقيقه.

ويرتكز عمل المؤسسة على منهاج "احترام الكاتب والكتاب" مادياً وأدبياً ومعنوياً، وفق عدة معايير تقوم على الالتزام التام بأخلاقيات مهنة النشر. وتسعى لتقديم رؤية جديدة لصناعة الكتاب تشمل الدقة في انتقاء المحتوى، والجودة في إخراجه وتصميمه وتنفيذه وطباعته، والاهتمام بنشره وترويجه إعلامياً ودعائياً، بما يضمن له؛ في النهاية؛ مكاناً بارزاً في مكتبة القارئ.

شمس للنشر والإعلام

www.shams-group.net

(+2) 02 27270004 - (+2) 0188890065

obeikandl.com